# "الخلفية التاريخية" لفكرة عصبة الأمم

د. صادق حسن السوداني
كلية الآداب – جامعة بغداد

شعر عدد من فلاسفة السياسة ، بسبب الأوضاع المتردية في أوربا وما ترتب عليها من احباطات وخيبات أمل ، أن الوقت قد حان لتقديم بعض المقترحات والخطط لنشر السلام والأمن في القارة . تقدم هؤلاء بيير دوبوا ، الذي أشر سنة ١٣٠٦ الحاجة الى اتحاد كونفدرالي يضم أمراء أوربا بمجلس ومحكمة . ثم جاء الإيطالي دانتي (١٢٦٥-١٣٢١) ليقترح (في بحث له صدر في وقت ما بين ١٣٠٩ و ١٣١٠) ، من أجل أنهاء الصراع المتواصل والذي بدا بلا نهاية بين الأمراء والمدن ، ما يمكن تسميته بلغة عصرنا دولة عالمية تضم جميع الأمراء المستقلين ذوي السيادة[١] . ودعا الى قانون أسمى واجب الطاعة والاحترام من قبل جميع الأمم ، يحول بينها وبين محاربة إحداها الأخرى[٢] .

وبدء بالقرن الخامس عشر الميلادي فصاعدا ، بدأت الدول القومية تظهر بفعل ضعف وتضعضع الإمبراطورية الرومانية المقدسة ، وبدأت هذه الدول تقاتل إحداها الأخرى من أجل التوسع والهيمنة . أمريك كروس ذكر سنة ١٦٢٣ ، وهو يشاهد ما خلفته حرب الثلاثين سنة المشتعلة وقتذاك (١٦١٨-١٦٤٨) بين الأمراء الألمان الكاثوليك والبروتستانت لأسباب دينية وسياسية من مآسي ودماء ، أن العالم بحاجة الى اتحاد عالمي للدول المستقلة ، ومؤتمر دائم للسفراء يجتمع في البندقية أو مدينة محايدة أخرى لتسوية أي خلاف ، قد يقوم ، بطريقة سلمية[٣] .

ويعد كل من جونز وشبرمن طروحات كروس مشروعا لعصبة عالمية حقيقية . ولم يكن مخطط كروس مقصورا على أوروبا بل ضمن خطته الهند والصين ، ودعا الى حرية التجارة والتعاون التجاري بين الأمم[٤] .

ثم جاء كتاب الهولندي هوكوكروشس (١٥٨٣-١٦٤٥) الشهير بـ "قوانين الحرب والسلام" الصادر سنة ١٦٢٥ . كان أول كتاب في القانون الدولي يظهر في أوربا الحديثة ، إذ أن مصطلح القانون الدولي بمفهومه الحديث بدأ بـ كروشس . يقول أنه أضطر لكتابته بسبب الرعب الذي خلفته حالة الحرب المدمرة في أوربا . هدفه كان منسجما مع المسيرة الإنسانية من البدائية الى المدينة ، لأستبدال الحرب بالقانون . وقال أن بالأمكان الحيلولة دون أندلاع الحروب بواسطة عقد مؤتمر ، تحكيم ، أو اصدار قرار واجب التنفيذ . وشدد كروشس على التحكيم وسيلة من وسائل حل النزاعات[٥] . وأكد على حق كل دولة في أن تكون متوازنة في علاقاتها مع الدول الأخرى على وفق قوانين معروفة ومعمول بها . وحرص على المحافظة على سيادة الدول والتكافؤ بينها[٦] . تجسدت طروحات كروشس بقيام عصبة أمم صغيرة سنة ١٦٥٨ على ضفاف نهر الراين من قبل دويلات ألمانية صغيرة بجهود فيليب فون شونبرغ ، رئيس أساقفة متنور لمدينة مينز . بموجبها تعهدت تلك الدويلات المنضوية تحت لوائها بحل خلافاتها بالتراضي[٧] .

وظهر ما يعرف بالمخطط الأكبر . ان المخطط الأكبر لهنري كواتر يعود تأريخه الى سنة ١٥٩٥ ، ولكنه لم يظهر الى العالم الا بجهود الدوق ماكسمليان سلي[٨] حين نشر مذكراته سنة ١٦٣٤ . المخطط عموما عبارة عن محاولة لأقامة نوع من توازن القوى في أوربا . ست ملكيات وراثية : فرنسا ، أنكلترا ، أسبانيا، السويد ، الدانمارك ، لومبارديا . خمس ملكيات انتخابية البابوية ، الامبراطورية الرومانية المقدسة ، بولندة ، بوهيميا ، هنغاريا . وأربع جمهوريات : البندقية ، إيطاليا ، هولندا ، سويسرة . يقام مجلس للشيوخ مع ستة مجالس صغيرة . يمارس

مجلس الشيوخ مهام محكمة التمييز ، ويخصص لكل دولة قوة بحرية وبرية ، ويحدد تكاليف الحفاظ على تلك القوات وأدامتها . من بين أهداف المخطط تقييد قوة النمسا وقتذاك . مفهوم التوازن في القوة قصد منه الحيلولة دون قيام دولة قوية تهدد الدول الأخرى وتتحول الى قوة مهيمنة[٩] . يمكن القول أن هذا المخطط صار فيما بعد الأساس لجميع الخطط النظرية والعملية لأنشاء منظمة دولية هدفها الحفاظ على السلام[١٠] .

أما صموئيل بوفند روف الألماني (١٦٣٢-١٦٩٤) فقد شدد في كتابه "قانون الطبيعة والأمم" على أعطاء صفة عالمية للقانون مؤكدا ضرورة التعاون السياسي والقانوني بين الدول ، مستندا الى ثلاثة مصادر هي العقل أو المنطق ، القانون المدني المتعارف عليه ، الوحي الآلهي ، وأكد على الحرية الفردية والتسامح الديني[١١] .

وفي سنة ١٦٩٣ كتب وليام بن مقالة عن "سلام أوربا في الحاضر والسمتقبل" ، دعا فيها الى اقامة برلمان أوربي يتألف من خمس عشرة دولة . واقترح أن يكون عدد الأعضاء الممثلين لكل اقليم متماشيا مع دور ذلك الأقليم في التجارة الخارجية . وبناء على ذلك وضع أسسا للتخمين من أجل أعطاء نموذج لا أكثر : الأمبراطورية النمساوية ١٢ ، فرنسا وأسبانيا ١٠ لكل منهما ، إيطاليا ٨، أنكلترا ٦ وهكذا . وإذا ما تقرر أدخال الدولة العثمانية وروسيا القيصرية فلكل منهما ١٠ . تضمنت مقالة بن ملخصا بالفوائد التي يمكن جنيها من السلام :

١ . الحيلولة دون سفك المزيد من دماء البشر من مسيحيين وغيرهم .

٢ . استعادة بعض السمعة للمسيحية بصفتها دينا يدعو للسلام .

٣ . توفير المال .

٤ . الوقاية مما تسببه الحروب من دمار .

٥ . السفر والمرور الآمن والسهل .

٦ . تدابير أمنية ضد الأتراك .

٧ . تعزيز الصداقة الشخصية بين الأمراء والدول .

أعقبت مقالة بن خطة مماثلة لجون بلرز . خطته كانت مركبة من أفكار بن والمخطط الأكبر . ولكن بموجبها يكون لأوربا برلمان دولي يتألف من مائة عضو، واحد من كل قسم من أقسام أوربا المائة التي قسم لها أوربا[١٢] .

وفي سنة ١٧١٢ طرح سنت بيير " مشروع اقامة سلام دائم في أوربا" وهو اتحاد يتألف من ٢٤ دولة مسيحية في أوربا مع مجلس شيوخ لتسوية النزاعات وتنفيذ المعاهدات فيما بينها[١٣] . المشروع تخيل إقامة شكل من أشكال عصبة للأمم تمتاز بصفة الدوام ، الأمر الذي أستلهمه فيما بعد العديد من المفكرين منهم جان جاك روسو (١٧١٢-١٧٧٨) وجيرمي بنثام (١٧٤٨-١٨٢٢) وعما نوئيل كانت (١٧٢٤-١٨٠٤) [١٤] .

أعتمد مشروع سنت بيير على المخطط الأكبر . أقترح أن يكون هناك أتحاد دائم للملوك (او الشعوب) ، أسماه لبسن عصبة أمم أوربية[١٥] ، كل منهم أمن ويعيش في دولة ذات حدود ثابتة في حينه . وأن تكون هناك مجالس أو غرف تجارية ، ملك واحد ، دولة واحدة (أي لا يحق لملك واحد أن يكون ملكا لدولتين)، مجلس شيوخ في مدينة للسلام ، عمل مشترك ضد أي ملك يتحدى مجلس الشيوخ. مجلس الشيوخ يتألف من ٢٤ شيخا بعدد الدول ، أي لكل دولة صوت واحد[١٦] .

وفي سنة ١٧٦١ كتب الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو مشروعا على غرار مشروع سنت بيير أسماه "السلام الدائم" ، دعا فيه الى تأسيس جيش دولي يدعم قرارات محكمة دولية . وكان روسو قد ألتقى سنت بيير وأعد له كتاباته . أصدر روسو مؤلفه "السلام الدائم" ، الذي كان الى حد كبير إعادة كتابة لمشروع سنت بيير . جاء في مشروع أو خطة روسو خمس مواد رئيسة :

١ - مجلس تشريعي دائم .

٢ - عضوية وحصص تدفع .

٣ - ضمان للمحافظة على ثبات الحدود التي كانت قائمة عند توقيع المعـــاهدة التي يفترض توقيعها .

٤ - عمل مشترك ضد المتمردين والرافضين للمعاهدة أو أحكامها .

٥ - القدرة على التغيير مؤقتا تقوم على مجرد التصويت بالأغلبية (لمدة خمـس سنوات) ، وبعد ذلك بأغلبية الثلثين[١٧] .

وأصدر الفيلسوف الأنكليزي جيرمي بنشام سـنة ١٧٩٣ مؤلفـه "مبـادئ القانون الدولي" عرف فيه الحرب بأنها عمل موذ على أعلى الدرجات . وقـال أن بالأمكان الحيلولة دونها من خلال تحالف دفاعي ، وضمانات عامة ، ونزع سـلاح ، وتخل عن الروح الأستعمارية[١٨] .

ولم تكن مساهمة الفيلسوف الألماني عمانوئيل كانت Kant بأقل قيمة فـي مجال الطروحات الخاصة بإقامة تنظيم دولي أو منظمة دولية ، اطلق عليه كـانت أسم عصبة الأمم (League of Nations) ، معبراً عن أعتقاده بأمكانها تحقيـق السلام الدائم من خلال توحيد دول العالم في ظل القانون ولكن العائق الوحيد أمـام قيام تلك العصبة ، كما يرى ، هو العزة القومية أو الخوف الزائف على السـيادة الوطنية[١٩]. جاء ذلك في كتابه المعنون "نحو سلام سـرمدي" سـنة ١٧٩٥[٢٠] ، وفيه دعا الى إلغاء الجيوش الوطنية وأستبدالها بجيش دولي[٢١] . أكد كـانت فـي مؤلفه بأن حالة أوربا ليست أكثر من حالة فوضى سياسية ، وأكد أن توازن القوى ليس حلاً . خطة كانت تتلخص في النقاط التسع الآتية :

١ . لا بنود سرية في أية معاهدة .

٢ . لا يجوز ابتلاع دولة مستقلة من قبل أخرى .

٣ . لا جيوش دائمة .

٤ . لا ديون وطنية لأغراض خارجية .

٥ . لا تدخل صارخ من قبل أية دولة بشؤون أو دستور أو حكومة أخرى .
٦ . في حالات الحرب لا تستعمل وسائل تجعل الثقة المتبادلة أمراً مستحيلاً .
٧ . يجب أن يكون الدستور المدني لكل دولة جمهوريا .
٨ . أن يقوم القانون الدولي على أساس أتحاد فدرالي بين دول حرة .
٩ . حقوق العاملين كمواطنين عالميين تكون مقيدة بشروط الضيافة العالمية[٢٢].

أما عمليا فقد شيد القرن التاسع عشر محاولتين لأرساء قواعد ونظم تحول دون أندلاع حرب ، أو حل النزاعات عن طريق الحرب ، أو استعمال العنف . الأولى ما أصطلح عليه بنظام فينا (١٨١٥) أو تسويتها ، والثانية نظام لاهاي (١٨٩٩ ، ١٩٠٧) .

نظام فينا ولد في مؤتمر فينا ، الذي بدأ الأعداد له بعد هزيمة نابليون يونابرت (١٧٦٩-١٨٢١) في معركة لايبزك أو الأمم ١٦-١٩ تشرين الأول ١٨١٣ . عقد المؤتمر في حاضرة الأمبراطورية النمساوية فينا بين ١ تشرين الأول ١٨١٤ و ٩ حزيران ١٨١٥ . كان عقد المؤتمر في فينا ، بحد ذاته ، أقراراً بدور النمسا في أسقاط نابليون وبالدور الذي لعبه وزير خارجيتها الكونت كليمنز فون مترنيخ (١٧٧٣-١٨٥٩) الذي ترأس المؤتمر[٢٣] .

حضر المؤتمر ممثلون عن ٢٠٧ دول أو أشباه دول أو إمارات ، مثلها ما بين أمبراطور وملك وأمبر ودوق ، ولكن قيادة المؤتمر وتقرير مساراته وقراراته، أنحصرت بيد أربع دول كبرى هي النمسا ، روسيا ، بريطانيا ، بروسيا، ثم بعد لأي أضيفت لها فرنسا بجهود شارل موريس تاليران (١٧٥٤-١٨٣٨) وزير خارجيتها المتعدد الألوان ، المتعدد الولاءات ، السريع في أظهار الولاء لمن يتولى السلطة في باريس ، المستعد لخدمة سادة فرنسا المتصارعين بصرف النظر عن نوع النظام وسيده[٢٤] . أما الغالبية العظمى من ممثلي الـ ٢٠٧ فكانوا بلا حول ولا قوة يوافقون على ما يوافق عليه الأربعة الكبار الذين

ألحقوا الهزيمة بنابليون ، أو بتعبير أدق يثّنون آليا على ما سبق أن وافق عليه أولئك الأربعة وما أرادوا عرضه عليهم .

ليس من السهل القول أنه كان هناك مؤتمر وجلسات ، بل كانت المفاوضات تأخذ مسارها وأبعادها خلال المآدب وحفلات الرقص والأزياء والحفلات الموسيقية وكلها على أعلى درجات الترف والبذخ ، وفي أتصالات هامشية أو جانبية أو أتفاقات بين قادة أو ممثلي الدول الأربع الكبرى وقتذاك : القيصر الروسي الأسكندر الأول (١٧٧٧-١٨٢٥ / ١٨٠١-١٨٢٥) (*) ، الأمبراطور النمساوي فرانسس الأول (١٧٦٨-١٨٣٥ / ١٨٠٤-١٨٣٥) ، الملك البروسي فردريك وليم الثالث (١٧٧٠-١٨٤٠/١٧٩٧-١٨٤٠) ، اللورد روبرت ستيوارت كاسلريه وزير خارجية بريطانيا (١٧٦٩-١٨٢٢/١٨١٢-١٨٢٢) يرافقه الدوق الحديدي آرثر ولسلي ولنكتن (١٧٦٩-١٨٥٢) ممثلين عن الملك جورج الثالث (١٧٣٨-١٨٢٠ / ١٧٦٠-١٨٢٠) ورئيس وزرائه المحافظ اللورد روبرت ليفربول (١٧٧٠-١٨٢٨ / ١٨١٢-١٨٢٧) (٢٥) .

كان الهدف الحقيقي للمؤتمر ، كما أكد ذلك سكرتيرة فردريك فون جينتز ، تقسيم الغنائم والأسلاب بين المنتصرين(٢٦) . أي بتعبير آخر إعادة رسم الخارطة السياسية لأوربا ، بعد أن تغيرت كثيراً خلال الحروب التي أعقبت قيام الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ ، وبخاصة الحروب النابليونية ، وإعادة القديم الى قدمه وأقتطاع هذا الجزء من ذلك البلد وإضافته الى بلد آخر حسبما تقتضيه الظروف ، أو أقتطاع أجزاء مهمة من دول أخرى لصالح الدول المنتصرة مكافأة لها .

الأسس التي أعتمدها الأربعة الكبار أو من ناب عنهم هي توازن القوى ، مبدأ الشرعية (أي إعادة الملوك الذين طردوا عن طريق الثورة أو عن طريق نابليون الى عروشهم) ، الوقوف بوجه الحركة الثورية والحيلولة بينها وبين تحقيق أهدافها وأستخدام القوة أن لزم الأمر . كل ذلك بحجة الحفاظ على السلام والحيلولة دون نشوب حرب أو حروب جديدة . أستناداً الى تلك الأسس ، وبخاصة مبدأ

الشرعية، عاد آل بوربون الى فرنسا وأسبانيا ومملكة الصقليتين (نابولي + صقلية)، وآل أورنج الى هولندة وآل سافوي الى سردينيا وبيد مونت ، والبابا الى ممتلكاته في وسط شبه الجزيرة الإيطالية ، وكذلك الأمراء الألمان الذين أصبحت ممتلكاتهم جزءاً من أتحاد الراين الذي أنشأه نابليون سنة ١٨٠٦ . أما المقاطعات والأقاليم والأراضي التي غنمها المنتصرون الأربعة ومن تحالف معهم فقد كانت كثيرة[٢٧]. منها على سبيل المثال منح ملك السويد النرويج بدلاً عن فنلندة التي ضمت الى روسيا . روسيا أيضاً أعطيت معظم بولندة التي كانت بحوزة كل من النمسا وبروسيا ، وهذا يعني إضافة للجزء البولندي الذي كانت تملكه روسيا أصلاً . وتعويضاً للنمسا التي خسرت جزءاً بولنديا والأراضي المنخفضة النمساوية ، فقد أعطيت لمبارديا وفينيسيا . وقد حطم أعطاء هذين الجزءين الإيطاليين الغنيين الآمال القومية الإيطالية التي أنتعشت أيام نابليون . أما بروسيا فقد حصلت على مقاطعات واسعة على أمتداد نهر الراين ، كما أعطيت نصف سكسونيا . وهذا جعل بروسيا دولة ذات أهمية بل ومنافسة للنمسا في ألمانيا ، كما خلق منها دولة حاجزة أو عازلة ضد فرنسا . أما بريطانيا فقد وسعت أمبراطوريتها بحصولها على مستعمرة الكاب في جنوب أفريقيا من هولندة ، وسيلان في المحيط الهندي ، وجزء من غويانا في أمريكا الجنوبية ، وهليكولاند من الدانمارك ، وجزيرة مالطا في البحر المتوسط ، وجزر أخرى في الهند الغربية والهند الشرقية كانت تابعة لفرنسا[٢٨] .

المؤتمر خلق شيئين مهمين ، الأول دولة بأسم هولندة تحت حكم آل أورنج تتألف من الأراضي المنخفضة النمساوية (بلجيكا الحالية) والأراضي المنخفضة الهولندية ، كما خلق ثانيا ما يعرف بالأتحاد الألماني ، وهو أتحاد فضفاض بزعامة النمسا يضم ٣٩ دولة ألمانية يجمعها برلمان واحد عرف بالدايت ، بموجبه حافظت كل دولة على أستقلالها ، ولكن دون أن يكون لها الحق في الدخول في تحالف مع دولة أجنبية ضد أية دولة من دول الأتحاد ، وصار الأمبراطور النمساوي رئيساً للدايت[٢٩] .

ومما يلفت النظر في مؤتمر فينا أقتصاره على دول أوربا ، فالحكومات التي مثلت فيه حكومات أوربية فقط[٣٠] . وبالتالي يمكن وصفه بأنه مؤتمر أوربي قاري أكثر منه مؤتمر دولي أو عالمي .

مثلما كان التحرك بأتجاه إقامة وحدة أوربية ، بعد مؤتمر فينا ، روسيا – تمثل في مقترح القيصر الأسكندر الأول الذي تجسد بالحلف المقدس (Holy Alliance) الذي لم يضم أكثر من ثلاث دول هي روسيا وبروسيا والنمسا ، وعقد في ٢٦ أيلول ١٨١٥ وكان موضع أستخفاف وأمتعاض بريطانيا والدولة العثمانية والدولة البابوية وكل له سببه ، رغم أن القيصر حاول ، بصدق أم بدونه، أن يجعل المسيحية عاملاً من عوامل صنع السلام في قارة أوربا – فأن فكرة عقد مؤتمر سلام في لاهاي كانت كذلك فكرة روسية بطلها القيصر نيقولا الثاني (١٨٦٨-١٩١٨ / ١٨٩٤-١٩١٧) حين أقترحها سنة ١٨٩٨ وفعلا عقد المؤتمر سنة ١٨٩٩[٣١] .

بعد فشل نظام فينا ، والتطورات العملية التي سادت أوربا في القرن التاسع عشر بما فيها حركات السلام التي وصلت ذروتها في السنة الأخيرة من القرن التاسع عشر ، تقرر عقد مؤتمر للدول الكبرى لا لصنع السلام بل للمحافظة عليه، وحضره ممثلو ست وعشرين دولة ، وعرف المؤتمر رسمياً لمعاصريه بمؤتمر السلام ، ولكن من الناحية التاريخية اشتهر بأسم مؤتمر لاهاي الأول حيث عقد جلساته بين ١٨ مايس و ٢٩ تموز ١٨٩٩ . أنجاز المؤتمر تمثل أولاً بأصدار ما سماه بالوثيقة الختامية التي وقعت يوم ٢٩ تموز ١٨٩٩ من قبل مندوبي الدول المشاركة بوصفها وثيقة حقيقية ولكن لا تعد ميثاقاً ملزماً ، إذ أن الدول المشاركة تحاشت مثل هذا الألتزام . وأشارت هذه الوثيقة الى أنه تم التوصل الى ثلاثة مواثيق وثلاثة بيانات أو تصريحات يمكن أجمالها فيما يأتي :

١ – ميثاق حل الخلافات الدولية سلمياً .

٢ – ميثاق يتعلق بقوانين وأعراف الحرب البرية .

٣ - ميثاق يتبنى المبادئ الخاصة بالحرب البحرية التي جاءت في ميثاق جنيف الموقع عليه في ٢٢ آب ١٨٦٤ .

٤ - ثلاثة بيانات أو تصريحات :

أ ) حظر القاء المتفجرات من بالونات أو ما يماثلها .

ب) تحريم الغازات السامة .

ج) تحريم استعمال الاطلاقات التي تنفجر في الجسد البشري بعد دخولها أو تمزقه بالتمدد داخله .

أما ذروة منجزات مؤتمر لاهاي الأول فقد تمثلت بـ "ميثاق تسوية النزاعات الدولية بالطرق السلمية" الذي دعا من بين ما دعا الى تأسيس محكمة دائمة للتحكيم ، عرفت عادة بمحكمة لاهاي . وقد تم التوقيع على الميثاق يوم ٢٨ تموز ١٨٩٩ ، ونقح في مؤتمر لاهاي الثاني ، الذي عقد جلساته بين ١٥ حزيران و ١٨ تشرين الأول ١٩٠٧ . أحتوى الميثاق على ٩٧ مادة تناولت كيفية المحافظة على السلام العالمي ، والجهود والمساعي الحميدة والوساطات للحيلولة دون نشوب الحرب ، وإجراءات التحكيم ، ومحكمة التحكيم الدائمة وغيرها .

أما البيان الختامي الصادر عن المؤتمر الثاني يوم ١٨ تشرين الأول ١٩٠٧ ، فقد أشار الى الاتفاق على ١٤ ميثاقا من بينها الميثاق أعلاه ، ومواثيق أقرها مؤتمر لاهاي الأول مثل منع القاء المتفجرات من بالونات وما يماثلها ، الألتزام بقانون الحرب البحري ، ومواثيق أخرى حول اندلاع الحروب ، سبل استرداد الديون المتعاقد عليها ، تحويل السفن التجارية الى حربية وغيرها من المواثيق[٣٢] .

وفي أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين طرحت فكرة أنشاء قوة دولية لحفظ السلام من قبل عدة شخصيات مشهورة منها الفريد نوبل[٣٣] الذي قال أن الحل الحقيقي الوحيد للحيلولة دون فشل السلام يكمن في ميثاق توحد فيه

الحكومات نفسها للدفاع بصورة جماعية عن أي بلد يهاجم . وفي ١٩٠٤ اقترح أندرو كارنيجي[٣٤] على مؤتمر السلام العالمي الثالث عشر بأن بأمكان كل من بريطانيا وفرنسا والمانيا والولايات المتحدة ، ودول أخرى ستنضم لها ، أتخاذ موقف جماعي ، وتكون مستعدة لغرض تسوية سلمية ضد أول من ينتهك حرمة السلام ، بل والتعامل معه بحزم . ولو حصل هذا فأن الحرب ستختفي من على وجه الأرض . ولكن أشهر الطروحات في مجال فرض السلام طروحة الرئيس الجمهوري الأمريكي تيودور روزفلت (١٨٥٨-١٩١٩/١٩٠١-١٩٠٩) ، التي جاءت في خطبته التي قبل بها جائزة نوبل للسلام لسنة ١٩١٠ ، حيث قال "ستكون ضربة معلم لو أن الدول الكبرى الحريصة فعلاً على السلام أقامت عصبة السلام لا لحفظ السلام فيما بينها ، بل لمنع ، بالقوة إذا أستلزم الأمر ، قيامها من قبل آخرين"[٣٥] .

كان اندلاع الحرب العالمية الأولى في أوائل آب ١٩١٤ إيذانا بفشل نظامي فينا ولاهاي في الحفاظ على السلام ، وفي الوقت نفسه ايذانا ببدء التفكير الجدي بوضع حجر الأساس لمنظمة دولية مهمتها الرئيسة الحيلولة دون قيام حرب جديدة بحل الخلافات بالطرق السلمية وتحديد أحجام التسلح والتصدي لكل من يحاول أن يلجأ الى الحرب كوسيلة من وسائل حل الخلافات أو النزاعات أو تحقيق الأطماع الأقليمية . ومما يجدر ذكره أن أدوارد كرى وزير الخارجية البريطانية (١٨٦٢-١٩٠٥/١٩٣٣-١٩١٦) أكد في آذار ١٩١٤ ، أي قبل اندلاع الحرب بخمسة أشهر ، بأن "الخوف سوف يرابط امام أبوابنا حتى نقيم نظاماً عالمياً للأمن والنظام"[٣٦].

وفي ١٥ آب ١٩١٤ ، أي بعد أسبوعين من بدء الحرب العالمية الأولى وأحد عشر يوما من دخول بريطانيا فينا ، أعلن الكاتب البريطاني الشهير هربوت جورج ويلز (١٨٦٦-١٩٤٦) – الذي أشتهر بروايات الخيال العلمي مثل آلة الزمن (١٨٩٥) ، حرب العوالم (١٨٩٩) وغيرهما – بأن الأوان قد آن لأعادة

رسم خريطة أوربا بجرأة ، ودعا الى إعادة تنظيم المجتمع ، لأن الفرصة سانحة وقد لا تتكرر مرة أخرى خلال مئات من السنين . الأهم من هذا دعوته الى عقد مؤتمر عالمي بعد نهاية الحرب ، لأيجاد حلول لمشاكل العالم للتخلص من الكثير من الصراعات والأحتكاكات العرقية واللغوية والسياسية ، أو على الأقل تقليل خطرها الى أدنى حد ممكن ، وإقامة عصبة للسلام (Peace League) تتحكم في العالم ، مؤكدا أن العالم سيكون مستعدا لقبول ذلك[٣٧] .

ويمكن أن يعزى الفضل الرئيس في تطوير فكرة عصبة الأمم خلال الأسابيع الأولى من الحرب الى جي لوس دكنسن ، أستاذ الفلسفة السياسية والعلاقات الدولية بجامعة كامبردج ، فقد نشر في أيلول ١٩١٤ ما يمكن أعتباره اول خطة منظمة عن "عصبة أمم أوروبية دائمة "تضم مجلساً مركزياً مفتوحا لجميع الدول يتحكم بالقوات المسلحة للدول الأعضاء ، ويضمن تنفيذ قرارات التحكيم الصادرة من مؤسسات تحكيمية قراراتها لها قوة الزامية واجبة التنفيذ. وبفضل جهوده ، وجهود آخرين منهم اللورد جيمس برايس الذي ألتف حوله عدد من المتحمسين لآرائه شكلوا مجموعة عرفت بمجموعة برايس لترؤسه لها . ضمت المجموعة من بين من ضمت السير ولوبي أيج دكنسن ، عضو مجلس العموم عن حزب الأحرار ، ريتشارد كروس ، كراهام ولاس ، منظر سياسي في مدرسة لندن للاقتصاد . تبادلت المجموعة أفكاراً بشأن خطط لأقامة منظمة دولية لمرحلة ما بعد الحرب" . وفي شتاء ١٩١٤-١٩١٥ تجسدت تلك الأفكار في خطة نشرت بعنوان "مقترحات لتفادى الحرب" .

أقترحت تلك الخطة أقامة نظام بعد الحرب يستند الى معاهدة بين ست دول أوربية كبرى زائدا كل من الولايات المتحدة واليابان ، وجميع الدول الأوربية الراغبة بالانضمام من أجل تسوية سلمية للنزاعات الدولية . وقسمت تلك الخطة الخلافات أو النزاعات الدولية الى قسمين : قسم ذي صفة قانونية وآخر ليس كذلك. بقدر تعلق الأمر بنزاعات القسم الأول ، تحال الى محكمة التحكيم الدائمة

في لاهاي أو أية محكمة تحكيم أخرى شريطة استعداد الدول المتنازعة للقبول بقرارها وتنفيذه . أما النزاعات الأخرى فيمكن أحالتها الى مجلس دائم للتوفيق . يتألف المجلس من أعضاء يعينون لمدة محددة أمدها عشر سنوات ، على أن تعين كل دولة من الدول الكبرى ثلاثة أعضاء والدول الأخرى واحد في الأقل . وبعد أن ينظر المجلس في الخلاف المحال اليه يصدر تقريراً يحتوى توصياته لحل سلمي ، ويمكن أن يضع أطاراً لأجراء تخفيضات في أحجام التسلح . وبما أن المجلس سيضم اشخاصاً أعتباريين ولا يمثلون الحكومات بشكل مباشر ، فأن قراراته ستكون ، افتراضاً ، موضوعية وغير متحيزة . وتتعهد الدول الموقعة بعدم اللجوء الى أستعمال القوة ضد أحداها الأخرى قبل أنقضاء أثنى عشر شهراً من تأريخ تقديم الخلاف الى محكمة تحكيم أو مجلس توفيق ، أو بعد ستة أشهر من تاريخ نشر تقرير أي من الاثنين . وفي حالة انتهاك دولة لذلك فأن الدولة الموقعة تهرع لمساندة الدولة ، التي وقع عليها الهجوم ، دبلوماسيا واقتصاديا او عسكريا إذا قررت اغلبية تلك الدول أنه الحل الوحيد الفعال .

وفي ٤ شباط ١٩١٥ اجتمع ما بين عشرين وثلاثين شخصاً من المهتمين بعصبة السلام في لندن في بيت شخص يدعى والترري ، أحد كبار موظفي وزارة الخزانة وفيما بعد من ساسة حزب الأحرار . تركزت المناقشات حول مقالة كتبها أنورين وليامز عنوانها "مقترحات لإقامة عصبة سلام وحماية متبادلة بين الأمم" نشرت في عدد تشرين الثاني ١٩١٤ من مجلة **Contemporary Review** . وفي ١٠ آذار ١٩١٥ تشكلت لجنة مؤقتة لوضع برنامج لجمعية بأسم "جمعية عصبة الأمم" . وفي ٣ مايس ١٩١٥ تبنى أجتماع عمومي هذا البرنامج بأعتباره الأسلس الدستوري لجمعية جديدة تحمل أسم "جمعية عصبة الأمم" وصار اللورد شواوف دنفر ملن رئيساً لها . ومن بين أعضاءها انورين وليامز . في ٢٩ تشرين الثاني ١٩١٥ تم تبني ما سمي بأهداف الجمعية التي كان من بينها "تشكيل عصبة تلزم الدول الموقعة عليها بأستعمال الوسائل السلمية لحل الخلافات الناشبة فيما بينها" وأن "تكون عضوية العصبة مفتوحة لجميع الدول المتمدنة التي تروم دخولها" .

وأن تحال جميع القضايا ذات الصيغة القانونية الى محكمة لاهاي وغيرهـــا الـــى مجلس تحقيق وتوفيق يكون ممثلا للدول التي تشكل العصبة . وأن تكون قراراتـــه ملزمة واجبة التنفيذ ، ومعاقبة الدولة التي لا تحترم تلك القرارات[٣٨] .

ومن الجدير بـــالذكر أن الكولونيـــل أدوارد هـــاوس (١٨٥٨-١٩٣٨) ، مستشار الرئيس الأمريكي الديمقراطـــي ودرو ولســـن (١٨٥٦-١٩٢٤/١٩١٣-١٩٢١) ومبعوثه الشخصي ، حين وصل الى لندن في شباط ١٩١٥ ســـأل عـــن أمكانية أشتراك الولايات المتحدة في ما يضمن السلام العالمي . ولكـــن هـــاوس تجنب أعطاء أي التزام ، بل أقترح أجراء أتصالات لوضع قواعد تعتمد مواثيـــق مؤتمري لاهاي المشار لهما لحماية حقوق الدول المحايدة أثناء الحرب . وحين ألح عليه كـــرى ، أعلن هاوس أمكانية عقد ميثاق لأقامة نظام لحفظ السلام في عـــالم ما بعد الحرب. وقد شجع هذا كرى ليقول أن تلك الأمكانية هي واحدة من أعظـــم الآمال التي يمكن أن يبنى عليها مستقبل العالم[٣٩] .

وحين عاد هاوس الى أوربا في كانون الثاني ١٩١٦ كانت توجيهات ولسن له هي أبلاغ المتحاربين بأن السلام ممكن إذا قـــام علـــى ركنيـــن ، الأول نـــزع السلاحين البري والبحري ، والثاني أقامة عصبة أمم لتحول دون وقوع عـــدوان وتضمن حرية كاملة للملاحة في البحار . وأن موافقة احد طرفي الحرب ، الحلفاء أو الوسط ، على ذلك سيدفع الولايات المتحدة الى أستخدام أقصى ما يمكن من قوة لارغام الطرف الآخر على الأستجابة . وفي مناقشة حامية مع القادة البريطـــانيين لقي هاوس بعض التشجيع من كرى الذي أبلغه أستعداده لقبول فكرة حرية البحـــار شريطة أنضمام الولايات المتحدة الى ميثاق دولي يضمنـــها . وفـــي ١٠ مـــايس ١٩١٦ أبلغ هاوس كرى بأن الرئيس ولسن راغب بأن يلزم الولايات المتحدة علنـــا بعصبة للأمم ، أستجابة لدعوة كرى التي جاءت في رسالته الى هاوس يـــوم ٢٢ أيلول ١٩١٥ .

أن قبول الرئيس ولسن بفكرة العصبة لقيت ترحيبا كبيرا من كثير من المجموعات السياسية في بريطانيا والولايات المتحدة . ولكن حماسة كرى للعصبة لم يكن يشاركه فيها مسؤولون بريطانيون آخرون مثل آرثر جيمس بلفور وزير البحرية البريطانية (١٨٤٨-١٩٣٠/١٩١٥-١٩١٦) الذي وجه أنتقادات لفكرة عصبة الأمم في كانون الثاني ١٩١٦ ، أثناء زيارة هاوس الثانية للندن ، متسائلا هل تكون العصبة ملزمة بفرض رأي الأغلبية ضد قوة جبارة مثل ألمانيا ؟ وإذا كان الجواب كلا فالسؤال هل ستكون العصبة أداة فعالة لحفظ السلام ؟ في حين لم تلق فكرة العصبة من لدن هربرت أسكويث رئيس الوزارة البريطانية (١٨٥٢-١٩٢٨/ ١٩٠٨-١٩١٦) الا أهتماما ضئيلا .

وبنهاية سنة ١٩١٦ أجتذبت فكرة عصبة الأمم المزيد من الأهتمام داخل الدوائر الرسمية البريطانية ، ولعبت دورا مركزيا في العلاقات الأنكلو – أمريكية خلال السنتين الأوليتين من الحرب . فقد أستغل كرى بحذاقة فكرة العصبة لمد جسور قوية مع الولايات المتحدة المحايدة ، بل أن فكرة العصبة لعبت دورا في إقامة شراكة أطلسية بين الدولتين بقصد خلق عالم جديد متوازن من حيث القوة . وقد أسهم هذا الدور في تليين بعض مواقف المسؤولين البريطانيين تجاه العصبة ، لما تلعبه من دور في جر الولايات المتحدة الى صف الحلفاء معنويا أولا وماديا ثانيا .

وبعد إعادة أنتخابه رئيسا للولايات المتحدة في أنتخابات تشرين الثاني ١٩١٦ ، أعلن ولسن بأن الشعب والحكومة في بلاده مستعدين بل متلهفين للتعاون الكامل في إقامة عصبة أمم لحفظ السلام حال انتهاء الحرب . وقد حرصت الحكومة البريطانية الأئتلافية التي تشكلت برئاسة ديفيد لويد جورج (١٨٦٣-١٩٤٥/١٩١٦-١٩٢٢) على أظهار تعاطفها مع رغبة ولسن المتعلقة بإقامة عصبة امم ، ولكن في الوقت نفسه المطالبة بضمانات أمريكية خلاصتها أن الحكومة الأمريكية لديها الرغبة والقوة لدعم قرارات العصبة عسكريا .

وأزداد أهتمام ولسن بحركة عصبة الأمم سنة ١٩١٧ ، وبخاصة بعد دخول الولايات المتحدة الحرب الى جانب الحلفاء يوم ٦ نيسان ١٩١٧ . وفي هذا الوقت صار ولسن الداعية الحقيقي لحركة العصبة . وقابل لويد جورج هذا الأهتمام بأهتمام مماثل وأن كان أقل حماسة حين خطب أمام تجمع عمالي في كاكستن هول يوم ٥ كانون الثاني ١٩١٨ مؤكدا على ضرورة إقامة منظمة دولية بديلا للحرب وأداة لحل النزاعات الدولية سلميا[٤٠] . وفي ٨ كانون الثاني ١٩١٨ أعلن الرئيس ولسن نقاطه الأربع عشرة الشهيرة التي دعت نقطتها الأخيرة الى إقامة رابطة دولية للأمم ذات مواثيق محددة لضمان الأستقلال السياسي والسلامة الأقليمية للدول الكبيرة والصغيرة الأعضاء فيها على حد سواء[٤١] .

وهكذا صارت فكرة عصبة الأمم ، بحلول ١٩١٨ ، مركزية في التوجهين البريطاني والأمريكي بوصفها استجابة لبرالية لمآسي الحرب من جهة ، والخوف من الثورة من جهة أخرى ، خاصة وأن "أيام تسوية فينا اصبحت جزءا من الماضي الغابر" كما قال لويد جورج يوم ٥ كانون الثاني ١٩١٨ ، وأن "أيام الفتح والتوسع والمواثيق السرية ولت" كما أكد ولسن يوم ٨ كانون الثاني ١٩١٨[٤٢] .

وحين ناقش مجلس اللوردات البريطاني فكرة العصبة في آذار وحزيران ١٩١٨ أشار اللورد جورد نثنائيل كرزن (١٨٥٩-١٩٢٥) ، عضو حكومة الحرب المصغرة ، وهو يتكلم ممثلا للحكومة أمام المجلس الى أمكانية قيام عصبة للأمم المتحالفة ، وأكد للوردات المؤيدين لفكرة العصبة أن الحكومة جادة في مسعاها لخلق مثل هذه العصبة . وقال إذا لم تتجسد الجهود لإقامة عصبة أمم واسعة لتشمل جميع الدول ، فأن العقبتين القائمتين فعلا والمتمثلتين بالأمبراطورية البريطانية والدول المتحالفة ضد الوسط بأمكانهما توفير النواة التي يمكن أن تنطلق منها تلك العصبة . ولكن الرئيس ولسن كان ضد فكرة إقامة عصبة للدول المتحالفة بل وضد أية عصبة تقوم مستندة الى المؤسسات القائمة اثناء الحرب . أما الحكومة الفرنسية فرغم تأييدها فكرة العصبة ، فأن جورج كليمنصو (١٨٤١-

١٩٢٩) ، الذي تولى رئاسة الوزارة في تشرين الثاني ١٩١٧ ، وحتى كانون ثاني ١٩٢٠ ، سخر من الفكرة بشكل مبطن[٤٣] .

وفي ٤ تموز ١٩١٨ أعلن الرئيس ولسن أهدافه الأربعة الخاصة بالحرب. وجاء الهدف الرابع ليؤكد على "ضرورة اقامة منظمة للسلام تجمع الأمم الحرة لحل المشاكل الدولية بالطرق السلمية ، ومن لا يقبل قراراتها سيعاقب" . وفي ٢٧ أيلول أعلن ولسن ، ضمن خطبة له ما عرف ببنوده الخمسة . جاء في البند الثالث "لن تكون هناك عصبات أو تحالفات أو مواثيق أو تفاهمات خاصة ضمن العائلة العامة المشتركة لعصبة الأمم" . أما البند الرابع فقد أوضح بشكل أكثر دقة "عدم وجود تحالفات اقتصادية انانية خاصة داخل العصبة ، ولا أستغلال لاي شكل من أشكال المقاطعة الأقتصادية أو الأقصاء ، الا كعقوبة تفرضها العصبة ذاتها كأسلوب من أساليب الضبط أو التأديب"[٤٤] .

وفي ١٠ تشرين الأول ١٩١٨ خطب اللورد كرى في حشد من أنصار فكرة العصبة أجتمعوا في سنترال هول في ويستمنستر في لندن قائلا أن خطبة ولسن يوم ٢٧ أيلول ١٩١٨ يجب أن تكون النموذج الذي يحتذى في عملية صنع السلام . الأكثر أهمية ، شدد كرى على ضرورة اقامة عصبة الأمم أثناء مؤتمر السلام ، لأن ترك ذلك لما فيما بعد سيكون معناه المخاطرة بفشلها ، لذا من الضروري أن تتعهد الحكومة بأتخاذ التدابير الكفيلة بتحقيق ذلك أثناء مؤتمر السلام[٤٥] .

وبالنظر لأهمية موضوع العصبة وزيادة شعبية قضيتها وأهتمام الرئيس ولسن الشديد بها قررت الحكومة البريطانية ، التي سبق وأن وافقت مع الحلفاء يوم ٥ تشرين الثاني ١٩١٨ على برنامج ولسن للسلام وبخاصة نقاطه الأربع عشرة بما فيها النقطة الرابعة عشرة التي دعت الى أنشاء منظمة دولية (عصبة أمم) للحفاظ على السلام[٤٦] ، دون أي تأخير ، العمل بتوصية وردت في رسالة رفعها خمسة من كبار مسؤولي وزارة الخارجية ، وهم السير آيري كراو ، السير

وليام تبرل ، السير لويس ماليت ، رالف باجيت ، السير اسميه هوارد بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٨ الى اللورد شارل هاردنك وكيل الوزارة الدائم ، وتعيين شخص ما لتحمل مسؤولياته مسؤولا عن قسم عصبة الأمم في وزارة الخارجية من أجل /متابعة المسألة[٤٧] . ووقع أختيار الحكومة البريطانية على اللورد روبرت سسل ، الذي أستقال من عمله حديثا وكيلا لوزارة الخارجية للشؤون البرلمانية ليتراس قسم عصبة الأمم . وتولى سسل مسؤولياته في أواخر تشرين الثاني ١٨١٨ . أختار سسل مذكرة الفريد زمرن ، أحد مسؤولي قسم الأستخبارات السياسية في وزارة الخارجية البريطانية ، لتكون أساسا لعمل القسم الجديد[٤٨] .

كانت مذكرة زمرن الأكثر قيمة والأكثر إيجابية . أقترحت اقامة العصبة على مرحلتين : الأولى تقوم الدول المتمدنة في العالم بعقد معاهدات جماعية وأتفاقيات أثناء انعقاد مؤتمر السلام . الثانية ترتيبات لعقد مؤتمرات دورية لصيانة وربما توسيع التفاهم الذي تم التوصل اليه . اقترح زمرن أن يكون قلب العصبة عبارة عن آلية تقوم على عقد مؤتمرات منتظمة . وستضم هذه المؤتمرات الدول المنتصرة الكبرى مع ألمانيا وروسيا ، بعد أن تقام فيهما حكومتان مستقرتان ، لتعمل كأعمدة أساسية للعصبة . وسيكون لقاء حكومات بحكومات . ويمكن أن يوسع المؤتمر كل أربع أو خمس سنوات لإضافة أعضاء أقل أهمية . إضافة لذلك، مؤتمر يضم ممثلين عن برلمانات الدول الأعضاء يمكن أن ينعقد كل أربع سنوات ليكون منبرا للتعبير عن الرأي العام العالمي . سكرتارية دولية يديرها كادر بشكل متناوب من الدول الكبرى ستعمل قناة أتصال بين مؤتمر الدول من جهة وجميع الهيئات الدولية التي تعمل تحت اشراف العصبة من جهة أخرى . وأكد زمرن ضرورة أن يكون مبدأ عدم جواز التدخل في الشؤون الداخلية هو القانون الذي يحكم نشاطات العصبة[٤٩] .

وفي ١٤ كانون الأول ١٩١٨ أعطى سسل ، من قبل قسمه بعد أن كلفه بذلك ، خلاصة عن تنظيم عصبة الأمم . وصلت هذه الخلاصة الى مؤتمر باريس

للسلام وعرفت بأسم "خطة سسل" . توصيات الخطة تشبه الى حد كبير الخطـــوط العامة التي أقترحها زمرن . تعد الخطة المؤتمرات المنتظمة مرتكـــز العصبـــة . وبما أن هذه المؤتمرات ستتألف من ممثليـــن لحكومـــات ذات ســيادة ويكونـــون مسؤولين تجاه حكوماتهم وبرلماناتهم ، فأن القرارات التي تتخذ لابـــد أن تكـــون بالأجماع . يعقد اجتماع سنوي لرؤساء الوزارات ووزراء الخارجية فـــي الـــدول الكبرى على أن يستكمل بأربعة أجتماعات تضم جميع الدول الأعضاء . مؤتمرات خاصة يمكن الدعوة لها بناء على طلب من الدول الكبرى أو أية دولة عضـــو إذا كان هناك خطر حرب . خطة سسل أكدت ضرورة أستمرار هيمنة الدول الكـبرى على شؤون العصبة ، وأن لا تمارس الدول الصغرى أي تأثير ملموس أو فعلـي . تعين الدول الكبرى سكرتارية دائمة ، وأقترحت جنيف لتكـــون مقـــرا للعصبـــة بوصفها أنسب مكان[٥٠] . ويبدو أن وقوعها في قلب أوربا من جهة وكونها في بلد أشتهر بحياده من جهة أخرى كانت وراء ذلك الأقتراح .

وختاما يمكن القول ان خطة سسل ، التي أعتمدت على مذكـــرة زمـــرن ، شكلت أحدى أهم الأسس التي أنطلقت منها لجنة أعداد ميثاق عصبة الأمم برئاســـة الرئيس ولسن لوضع اللمسات الأخيرة على صياغة ذلك الميثاق .

## الهوامش :

1 - D.C. Gupta, The League of Nations , Delhi, Vikas publishing House PVT Ltd. 1974 , PP. 2-3 ; Robert Jones and S.S. Sherman , The League of Nations from Idea to Reality , Bath , England , Sir Isaae Pitman & Sons , LTD. , 1927 , P. 43 ; George H. Sabine, A history of Political Theory , New York , Henry Holt and Company, 1950 , P. 257; The Encycbpedia Amerciana , International Edition , New York , Americana Corporation , 1976 , Vol. 8 , P. 489 .

2 - Jones and Sherman, Op. Cit. PP. 43-44 , See also : S.R. Gibbons and P. Morican, the League of Nations and UNO , London , Longman , 1973 , P. 8 ; Sabine, Op. Cit. , P. 258 .

3 - Gupta, Op. Cit. , P. 3 .

4 - Jones and Sherman , Op. Cit., P. 46.

5 - Ibid, P. 46 ; Gibbons and Morican, Op. Cit., P. 9 ; Arthur P. Watts, A History of Western Civilization , Vol. II , New York , Prentice-Hall , INC. , 1940 , PP. 445-446 ; Sabine, Op. Cit., P. 421 ; Carlton, J.H. Hayes , A polticial and Cultural History of Modern Europe , Vol. I , New York , the Macmillan comy , 1936 , P. 275 ; Encyclopaedia Britannica, Chicago , William Benton, Publisher , 1965 , Vol. 10 , P. 945 ; Americana , Vol. 13 , P. 508 .

6 - Watts, Op. Cit. , P. 446 ; Sabine, Op. Cit., P. 423 ; Louis Gottschalk and Donald Lach, Europe and the Modern World , Chicago , Scott , Foreman and company , 1951 , P. 327 ; Britannica , Vol. 10 , P. 945.

7 - H.A.L. Fisher, A history of Europe , Edward Arnold & Co. , 1945 , P. 638 .